تمهيد

عن حياة ابن تيمية وشخصيته وعصره

أولا : ابن تيمية يستقبل الحياة :

هو شيخ الإسلام الإمام تقى الدين أبو العباس أحمد ، بن شهاب الدين عبد الحليم ، بن مجد الدين عبد السلام ، بن عبد الله بن تيمية رضى الله عنه .

ولد ابن تيمية سنة ٦٦١ هـ - ١٢٦٣ م بحران فى سوريا وفى أسرة أنجبت العلماء الأعلام فى العلوم الشرعية ؛ وما كاد يبلغ السابعة من عمره حتى هاجم المغول حران ؛ ولذا فقد اضطر أن يهاجر إلى دمشق مع والديه ؛ وقد تجشمت الأسرة متاعب جمة ؛ وصعابا بالغة فى هذه الرحلة بسبب الرعب الشديد الذى سيطر على جنوب سوريا[1] .

وقد ترك ذلك الخطب الجلل أثرا عميقاً على مخيلة الصبى الصغير أحمد ؛ فانطبع فى ذهنه الإحساس بهوان أمته الإسلامية أمام شراسة الأعداء وهمجيتهم وأخذ الشعور بمقت أعداء الإسلام يتزايد مع تقدم سنه .

كان (تيمية) اسماً لعائلته ، تلكم العائلة ذات الأصل العريق ، والعلم الوافر، فأبوه (شهاب الدين عبد الحليم) كان من أعيان الحنابلة ، باشر بدمشق مشيخة الحديث ، وكان له كرسى بالجامع يتكلم عليه أيام الجمع من حفظه ، وأما جده (مجد الدين عبد السلام) فهو الفقيه الحنبلى ، الأمام المقرىء المحدث الأصولى النحوى ، وأحد الحفاظ الأعلام[2] .

وقد انضم ابن تيمية إلى الأكراد الذين كانوا المدافعين البارزين عن الإسلام والمسلمين فى القرنين السادس والسابع الهجريين ؛ وتحملوا شراسة الهجوم الذى شنه الصليبيون ؛ وإنهم فى الحقيقة هم الذين كسروا شوكة المسيحيين الغزاة ؛ ومهدوا الطريق للمماليك فى مصر أن يردوا الصليبيين على أعقابهم إلى أوربا .

---

(١) أنظر محمد شاكر الكتبى : فوات الوفيات ١/٢٦

(٢) أنظر : ابن الالوسى البغدادى : جلاء العينين ص ١٩ .

وهكذا يستقبل ابن تيمية أعوام حياته الأولى وقد ابتلى الشرق الإسلامى بغزوات الصليبيين وغزوات التتار ، وزلزل زلزالا شديداً ؛ مما جعل الجهاد بالسيف والقلم على ابن تيمية قدراً محتوماً .

ثانياً : ابن تيمية يبلغ أشده ويؤتى حكمة وعلماً :

حصل ابن تيمية على كل تعليمه فى دمشق منذ أن استقر والداه وأقاربه هناك ؛ وقد كان أبوه شهاب الدين مدرساً ماهراً فى علم الحديث ومصطلحه وواعظا مشهورا فى المسجد الجامع بالمدينة ، وكان عمه فخر الدين كذلك أستاذاً جليلا ؛ ولذا فقد تعلم ابن تيمية فى مدرسة والده الخاصة ، ونهل من معين التراث الزاهر الذى تمتلكه أسرته ، وقد استفاد أيضا من صحبة العلماء الآخرين فى دمشق ، ولم تكن دراسة ابن تيمية قاصرة على التفسير والحديث والفقه ، وإنما درس أيضا العلوم الكونية والفلكية والرياضية والتاريخ والأدب وغيرها ، وتفوق فيها تفوق المتخصص ، إلا أنه وجه عناية خاصة إلى الفقه الحنبلى الذى كان أبوه أستاذا فذا فيه .

وفى تلك الفترة الحرجة من التاريخ كان العالم الإسلامى يرسف فى قيود الذل والتخلف ؛ فقد غزا المغول الشرق الإسلامى بعد أن أسقطوا الخلافة فى بغداد سنة ٦٥٦ هـ ، وفى الغرب الإسلامى (طُرِد المسلمون من أسبانيا نهائيا) ؛ ولذلك فان كثيرا من الدارسين قد هربوا إلى المناطق الآمنة طلبا للحماية ، وكانت القاهرة ودمشق أكثر تلك المناطق أمنا وأعظمها شأنا ، ولذلك فقد أمها الدارسون من كل مكان ، وكانت وجهة ابن تيمية ووالديه وأقاربه إلى دمشق حيث يتسنى لهم التفرغ للدراسة والتعليم ، وذلك بسبب رغبتهم فى الدعوة إلى الله ونشر العلوم الإسلامية ، وعلى الرغم من أن الوقت كان متأزما للغاية إلا أنه أتاح لابن تيمية فرصة نادرة لتلقى العلم على أيدى حشد هائل من العلماء ، وفى شتى التخصصات .

أخذ ابن تيمية قسطا وافرا من العلوم وتمثلها تمثلا كافيا ، ولما جاء دوره فى العطاء ، لم تكن العلوم عنده سواءا ، فبأى العلوم يبدأ إذن حين يعلم الناس ، بالعقيدة أو التفسير أو الفقه ؟ وجد أن خير ما يبدأ به هو العقائد

وخاصة التوحيد ، وهو الذى يعلم أن طريقة السلف هى تعلم الإيمان قبل تعلم القرآن حتى يزداد المتعلم إيمانا ، ومن أكبر الدواعى التى دعته إلى البدء بعلوم العقيدة أن العقائد السلفية الخالصة قد غابت عن أذهان الناس وعن واقعهم ، وشاع بين الناس فى عصره أن مذهب الأشاعرة فى العقيدة هو مذهب السلف ، مع أن الأشاعرة ـ كما سنرى ـ حاولوا أن يجمعوا بين الخط الكلامى والخط السلفى فلم ينجحوا ، وكانت أقوالهم فى كثير من مسائل العقيدة مثل الصفات والرؤية وغير ذلك . . رجوعا إلى آراء المعتزلة وغيرهم من الفرق المبتدعة ، وفى هذا يقول الأستاذ قمر الدين خان : « أهم عاوم الشريعة التى كرس ابن تيمية حياته لها هو علم العقائد ، ويرجع ذلك لأسباب تاريخية منها أن الأيوبيين الذين حكموا مصر وسوريا قبيل ظهور ابن تيمية ، قد ساندوا بشدة مذهب الأشاعرة قائلين إن ذلك هو السنة التى يجب أن تتبع وذلك هو الصراط المستقيم الذى يجب على كل أحد أن يسلكه ، وقد انتشر مذهب الأشاعرة انتشاراً واسعاً فى الشرق والغرب ولم يلق اعتراضا إلا من الحنابلة الذين كان أسلوبهم فى دراسة العقائد هو نفس أسلوبهم فى دراسة الفقه ، ذلك أنهم استمدوا أصول الإيمان من النصوص الكريمة فى الكتاب والسنة ، كما أنهم استمدوا أحكام الفقه من هذه النصوص ، ذلك أن الدين فى رأيهم متضمن فى هذين المصدرين .

أما الأشاعرة فقد اصطنعوا أسلوب المنطق والجدل فى شرح أصول الإيمان لأن إمامهم أبا الحسن الأشعرى نشأ معتزليا ، وحذق أسلوب المعتزلة ، ثم اختلف معهم فى بعض الأمور ، وقد قام صراع حاد بين الأشاعرة والحنابلة ، واتهم المذهب الحنبلى فى غالب الأحيان بالتشبيه فيما يتعلق بصفات الله »[1] .

وكان لابن تيمية دور كبير فى دفع التهم ودرء الشبهات التى حاقت بالمذهب الحنبلى فيما يتعلق بصفات الله ، وذلك فى مصنفاته الخاصة عن صفات الله مثل الفتوى الحموية الكبرى ، والرسالة التدمرية ، والعقيدة الواسطية

---

(١) Qamarnddin khan : The political though of Ibn Taymiyah p. 3م

وغيرها ، والعجيب أن ابن تيمية ـ وهو يبطل عقائد المتكلمين ـ لم يستخدم لمقدمات العقلية ولم يتذرع بالأقيسة المنطقية ، وإنما كان عمدته الكتاب والسنة ،وأقوال الصحابة والتابعين الذين عدهم السلف الصالح ، ومن ثمَّ كان لزاما على الناس العودة إلى أسلوب حياتهم .

وبعد أن قضى ابن تيمية وطره فى تصحيح العقيدة ، وتعليم الناس أصول الإيمان ، ولم يبالِ فى سبيل ذلك بكل ما لقى من عنت وإيذاء ، كرَّس القسط الأكبر من جهده فى تفسير كتاب الله عز وجل ، واستطعنا أن نضع أيدينا على الدواعى القوية التى حملته على ذلك وأهمها :

— العلم التام بكتاب الله يزيد الناس إيمانا على إيمانهم ويقوى عقيدتهم .

— القرآن ـ إذا فهمت مقاصده ومراميه فهو الخليق بجمع الأمة حول لوائه ، والقضاء على كل أسباب الخلاف بين أفرادها ، وبهذا يمكن إعلان الجهاد المقدس لمواجهة خطر التتار ، وخطر الصليبيين وأى خطر يهدد وجود الأمة الإسلامية .

ـ للقرآن الكريم يحمل فى داخله قوانين صيانة الفرد ، وصيانة المجتمع لأنه كلام اللطيف الخبير الذى يعلم من خلق .

فهم القرآن على النحو الذى يرضى عنه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم يجعل الأمة بمنجاة عن تأويلات الجاهلين ، ويكسبها مناعة ضد تحريفات المبتدعين .

ولكن كيف يفسر كتاب الله تعالى ؟ لقد كثرت المعايير التى يستند إليها كل مفسر ، فهذا تفسير صوفى ، وهذا فلسفى ، وهذا علمى . وغير ذلك من الكتب التى تدعى التفسير ، وليس لها من الدعوى نصيب ، ولهذا وضع ابن تيمية المعيار التفسيرى ـ إن صح التعبير ـ أو القسطاس المستقيم أو التأصيل النظرى الذى ينبغى أن يَرْجِعَ إليه من نصَّبَ نفسه لتفسير كتاب الله سبحانه ؛ وأودع هذا التأصيل النظرى رسالته التى أسماها « مقدمة فى أصول التفسير » والتى نخصها بالدراسة فى فصل خاص إن شاء الله ؛ ومع ذلك لم يحرم الناس من نماذج ممتازة للتطبيق ؛ وفى تقديرى أنه فسر القرآن كله فى مجالسه العلمية الحافلة ،وإنما الذى وصل إلينا هو بعض ما أمسكته الرسائل

التى كتبها تلامذته ؛ وقدر لها أن تنجو من الضياع . وفى النماذج التى عُثِرَ عليها ؛ رأينا تطبيقاً دقيقاً للأصول النظرية التى وضعها ؛ وإن أعطى لنفسه الحرية إلى حد ما فى الاستطراد أحياناً ؛ أو مناقشة الفرق أحياناً أخرى .

أما المجال الثالث الذى أنفق فيه ابن تيمية جهداً كبيراً فهو « الفقه وأصوله » ، حيث تناول قواعد استنباط الأحكام ؛ وقد توسع هو فى استخراج الأحكام وعرض أقوال أئمة المذاهب المختلفة ؛ وكان له مذهب مستقل فى كل مسألة يعرضها وقد شمل هذا الجهد العبادات والمعاملات .

وإلى جانب ذلك كتب ابن تيمية وأجاد فى كل العلوم التى ظهرت فى عصره تقريباً سواء أكانت شرعية أم كونية وتحدث فى كل علم حديث المتخصص فيه ؛ فقد وجدنا له أقوالا فى علوم الكلام والفلسفة والتصوف والحديث ومصطلحه ؛ وفى علوم الفلك والحيوان والنبات والمعادن والطب والكيمياء والحساب والجبر والمقابلة والهندسة والتجويد والبلاغة والشعر والأنساب والترجمة والتاريخ وعلم النفس وغير ذلك من العلوم مما يجعلنا نقطع بأن ابن تيمية حباه الله عقلية موسوعية ؛ قلما يجود الزمان بمثلها ؛ أو قل هى الحكمة يؤتيها الله من يشاء ؛ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا .

ثالثا : ابن تيمية يجاهد فى سبيل الله :

لقد كان التقليد الأعمى مستحيلا على رجل مثل ابن تيمية ، رفع شعار التحرر من كل تقليد للمصادر ؛ إلا الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح ، ولهذا كان الصراع بينه وبين خصومه حتمياً خاصة بينه وبين أولئك المنتمين إلى الفرق المختلفة ؛ والذين أيقنوا أن ابن تيمية مصر على فضح آرائهم ومعتقداتهم ، وعرف كل الناس عن ابن تيمية قدرته العقلية وكفاءته العلمية ومهارته الجدلية ، لكن هذه الصفات فى نفس الوقت جعلتهم ينظرون إليه نظرة مهابة وحذر ؛ ولم يكن لخصومه من ملجأ سوى الاختفاء خلف أسوار العصبية والجهل .

ولم يكتف ابن تيمية بإلقاء المحاضرات على تلامذته وجمهوره فى المسجد الجامع ؛ ولكنه كان يفتى فى كثير من المسائل التى دونت فى الكتب

والكراسات ؛ وانتشرت انتشارا واسعاً ؛ وذلك هو السبب الرئيسى فى صراعه مع العلماء الآخرين والحكومات ؛ إذا كانت فتاويه مؤسسة على الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح ؛ فجاءت متعارضة مع العقائد الباطلة والأعراف السائدة .

وكانت فتاويه فى كثير من الأحيان من أهم عوامل اليقظة الدينية والاجتماعية فى مناطق مختلفة ؛ ونتيجة لهذا ظل ابن تيمية يعذب بأيدى العلماء وبأيدى الحكومات مدة تربو على أربعين عاما أى منذ ارتقى سلم الشهرة حتى الموت ؛ ومما هو جدير بالذكر أنه لم يكن يعذب بأيدى القاعدة العريضة من الشعب ؛ وإنما كان يعذب بأيدى كبار المسئولين ، خاصة القضاة الأحناف فى دمشق والقاهرة ، أو بعض الأمراء ذوى المصالح الذاتية ؛ وكان جماهير الشعب فى سوريا هم أشد المعجبين به ، وأيدوه فى كثير من مواقفه ؛ حتى جماهير الشعب فى مصر ما اعترضوا عليه إلا فى أول عهده بالتعذيب ، حينما كانت مناقبه وشخصيته العلمية خافية عليهم .

وقد سيطر المماليك الأتراك على مقاليد الحياة السياسية سيطرة كاملة ، بينما كانت الشئون المدنية ، وخاصة السلطة القضائية بيد العرب تماماً ، وتمتعت طبقة « رجال الدين » بنفوذ كبير ، ومارسوا السلطة الفعلية على النواحى الإدارية فى ذلك العصر ، وأشرفوا على الحياة الدينية للشعب ؛ وبالإضافة إلى ماسبق فقد تبنت المدارس السنية الرئيسية الثلاث مذهب الأشعرى فى العقيدة ، أما المدرسة الرابعة فقد تبنت مذهب « ابن حنبل » ولذا عارضت المدارس الثلاث الاخرى بشدة ، ومنذ أن أصبح ابن تيمية المتكلم البارز للمدرسة الحنبلية ، كان الصراع بينه وبين المدارس الأخرى حتميا ، وفى هذا الصراع تعاطفت الشافعية مع « ابن تيمية » - فعلى الأقل - لم يوافقوا أو يشجعوا على تعذيبه ، وذلك لتقارب وجهات النظر بين الحنابلة والشافعية ؛ حيث إن الإمام أحمد كان تلميذا للإمام الشافعى .

وقد بدأت متاعب ابن تيمية فى فترة مبكرة من حياته حينما وجهت إليه فتوى شرعية من حماة سنة ٦٩٨ هـ — ١٢٩٨ م بشأن صفات الله الواردة فى القرآن الكريم ، وقدم ابن تيمية (إجابته) فيما يعرف بالفتوى الحموية الكبرى ، التى سرعان ما انتشرت وأثارت حنق الفقهاء وخاصة القاضى

الحنفي جلال الدين في دمشق، وأُحضِرَ ابن تيمية أمام مجلس من كبار رجاله الدين والقضاة ، ليدافع عن وجهات نظره التي بثها في رسالته، وعلى الرغم من حدة الجدال الذي داربين ابن تيمية وخصومه يومئذ ، إلا أن ابن تيمية كسب المعركة وكانت تلك الواقعة نموذجا واضحا للمعارك الجدلية الكبرى التي تتابعت فيما بعد .

ولقد قاطع الغزو المغولي لسوريا ٦٩٩ هـ — ١٢٩٩ / ١٣٠٠ م تلك المعارك الجدلية بين ابن تيمية وخصومه فجأة واحتل العدو الاقليم السوري لبعض الوقت، ثم جلا عنه بعد أشهر قليلة لأسباب عسكرية ،وعلى أي حال فقد دخل المغول سوريا مرة بعد مرة واستمروا في مناوشة الدولة المملوكية حتى هزموا نهائيا في معركة شقحب التي قادها ابن تيمية سنة ٧٠٢ هـ — ١٣٠٢/١٣٠٣ م ، وبعد أن استتب الأمر لدى سلاطين المماليك استأنفوا تعذيبه ، وكان هناك بعض الأسباب لذلك :

١ — هزم المغول وأخرجوا من البلاد ويرجع ذلك أساسا إلى الجهد الذي قام به ابن تيمية ، ولذا فإنه بعد هذا الحادث كسب احتراما في أعين الشعب والحكومة على السواء ، وأوقدت الشهرة نار الغيرة في نفوس خصومه الذين أصبحوا أشد حرصا على تقويض مركزه .

٢ — كان العلماء في غالب الأمر يأخذون رواتبهم من الدولة ، ولذلك فإن الذين استمتعوا برعاية السلطان كانوا يمارسون تأثيرا كبيرا عليه في تعيين العلماء وتحديد رواتبهم، ولم يلتحق ابن تيمية بخدمة الحكومة ، وإنما اكتفى أن يبقى مرشدا وواعظا ومعلما له تأثيره طوال حياته،وحاز ابن تيمية احترام الحكومة إلى حد كبير بسبب انكاره لذاته وعفة نفسه ؛ وكان يستشار غالبا في اختيار العلماء الذين يصلحون لرئاسة المعاهد العلمية الهامة ، وشغل الكراسي العليا في السلطة القضائية ولنفس السبب قدَّرَهُ الشعب ، واعتقد في كفاءته ، وألفى أن صلاحه في قيادته ، واقتنع بفتاويه واستجاب لدعوته ، وبذل العلماء الآخرون جهدا كبيرا للتقليل من قدر ابن تيمية العظيم ، إذ حسدوه وحاولوا أن يشينوه ، وكتب ابن كثير تعليقا على هذه القضية يقول : كان هناك فريق من العلماء غيور من الشيخ تقي الدين ابن تيمية بسبب

مركزه الممتاز فى الدولة ، وكثرة اتباعه ، ودفاعه عن الحق ، وعلمه الغزير ، وقيادته الحكيمة(١) .

٣ — كان ابن تيمية عدوا لدودا للبدع ، ومن ثم فقد اتحدت ضده الطوائف الضالة ولاسيما سفاكو الدماء منهم ،أمثال الطائفة النصيرية وعلى أى حال فقد استأصل معظمهم من مواقعهم ، وأفنى جيش الدولة أن يبيد البقية الباقية منهم بقدر الإمكان(٢) .

٤ — شن ابن تيمية حربا لاهوادة فيها ضد المتصوفة ، وتكلم وكتب بعنف ضد إمامهم الأعظم وفيلسوفهم الأكبر محيى الدين بن عربى ، وبذل جهدا جبارا لتدمير تفكيره ، ودحض آرائه ، وأقنع الحكام أن يضعوا حدا لاحتيال المتصوفة وخداعهم ، وأهم سمة لهذا العصر سواء على الصعيد السياسى أو الصعيد العام هو الميل الشديد للاعتقاد فى السحر والشعوذة وكافة أنواع الظواهر الخارقة للعادة ، وهذه السلبيات جميعا مسئولة عن تدهور العصر الذى عاش فيه ابن تيمية ، وكان الصوفية أكثر الفرق استغلالا لهذه السلبيات التى أصابت الشعب ، ولم يتوقف خطر الصوفية عند هذا الحد ، وإنما أفسدوا العقيدة الإسلامية وحرفوا شريعتها باعتناقهم لنوعين باطلين من الفلسفة هما : وحدة الوجود ، ووحدة الشهود(٣) ، وزعموا أن نصوص الكتاب والسنة والأحكام المتضمنة فيهما لها ظاهر وباطن ،وأنه لا يملك معرفة الباطن إلا شيوخهم ، وانطبعت هذه الأفكار بشدة على أذهان الجماهير الجاهلة ،خاصة فى مصر ، حيث لم يكن لابن تيمية من التأثير القوى مايحملهم على اتباعه ولاسيما فى أول عهده بالتعذيب ، وكان للصوفية فى سوريا نفس القدر من النشاط ، ولكن ابن تيمية تمكن من القضاء عليهم تقريبا ، وعلى أى حال فقد اتحدت طبقة الأعيان فى القاهرة مع المتصوفة حرصا على

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ١٤/٣٧ :

(٢) ابن كثير : البداية والنهايه ١٤/٣٦

(٣) وحدة الشهود عكس الوجود ، إذ يعتقد بعض المتصوفة أن العبد بحبه وإخلاصه للخالق يمكن أن يتحد به ، وهذه حالة من أحوال الروح تسمى عندهم بالفناء ، أى فناء ذات العبد فى ذات الرب .

مصالحهم الخاصة ، وكان أهم حوادث التتويج فى هذا العصر هو أن المكائد السياسية ، أجبرت السلطان الناصر بن قلاوون أن يتنحى عن الحكم سنة ٧٠٨هـ — ١٣٠٨م لصالح الملك المظفر بيبرس الذى كان صديقا حميما وتلميذا بارا للشيخ نصر الدين المنبجى الرئيس الأكبر لمدرسة ابن عربى ، وبدأ الصوفية بمساعدة الدولة حملة قوية للسيطرة على الشعور العام وكسب طاعة الشعب مما أثار عداء ابن تيمية الشديد لهم .

٥ — وصل الحنابلة إلى منهج معين لتحديد الإيمان وفهمه ، وتوصل العلماء الآخرون إلى منهج آخر متبعين فى ذلك أبا الحسن الأشعرى وأبا المنصور الماتريدى ، وما كاد ابن تيمية يظهر على مسرح الأحداث حتى دافع عن المذهب الحنبلى بكل ما أوتى من قوة ، ولقد نفى عن الحنابلة أن يكونوا مجسمة أو مشبهة ، وأن وصفهم بهذا إن هو إلا محض افتراء ، وأكد أنهم يعتمدون على النص القرآنى والنص النبوى فى فهم علم العقيدة وعلم الفقه كليهما ، وكان لقوة الشخصية والكفاءة العلمية العالية التى تمتع بها ابن تيمية الفضل فى التمكين للمذهب الحنبلى ، وتقوية نفوذه وتثبيت قواعده أمام الحكومة وأمام الشعب مما جعل العلماء الآخرين يشنون الحملات العاتية ضد ابن تيمية للتقليل من تأثيره .

٦ — ومما هو جدير بالذكر — أخيراً — أن ابن تيمية كان يتصف بالحدة فى تصرفاته وأقواله ، فكلما ضايقه خصومه باعتراضاتهم أو الضجة التى يثيرونها حول فتاويه استخدم ضدهم ألفاظاً لاذعة مثل : (إنَّ هذا لَجهْلٌ مطبق) أو قوله : (وهذا آفة الفهم السقيم) وظاهر خصومه بعضهم بعضاً ضده ، وكان الصراع المرير بين الطرفين حينئذ حتمياً ، وتجمعت كل هذه الأسباب لتكون قوة عاتية ضد ابن تيمية ؛ واضطرته إلى تجشم الصعاب البالغة ، والتعذيب المستمر ، وأنفق ابن تيمية قدراً كبيرا من حياته فى السجن حيث كتب كثيراً من مؤلفاته الهامة .

إن ذلك الصراع الدائم ، والشجاعة التى لا تغلب فى محاربة الباطل ، والسجن المتكرر ، والذكاء النادر ، والفكر العميق ، وإيثار المصلحة العامة والإخلاص فى طاعة الله لعوامل جوهرية امتزجت لتخرج لنا شخصية ابن تيمية ، وقد نمى

ابن تيمية هذه الشخصية عن طريق الدراسة والجهاد والمعاناة ، فوقفت إلى جوار الحق وتصدت بقوة للباطل مهما تكن النتائج .

ود ابن تيمية لو عاد الناس فى عصره وفى كل عصر إلى أزهى فترة عرفها الإسلام ، بل عرفها التاريخ كله وهو عصر النبوة والصحابة والراشدين أو عصر السلف الصالح ، وحتى يرقى بعصره إلى هذا الهدف الغالى قطع على نفسه عهداً ألا يفتى بفتوى إلا إذا قامت على نص من كتاب الله أو السنة الصحيحة لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — وحيث إنه استوعب السنن والآثار حفظاً فقد أفتى بفتاوى لم يسبق إليها ، أو بدا للناس فى عصره أنه لم يسبق إليها ، وتحرك الحاقدون الذين باعوا دينهم بدنياهم بالوشاية لدى السلاطين ، تحرك الذين اتخذوا شيوخهم أرباباً من دون الله للانتقام من شيخ الإسلام ابن تيمية ﴿ وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾ وهذا هو السر الأكبر فى السجن المتكرر الذى عده ابن تيمية خلوة يناجى فيها ربه ، ولهذا لم نجد مرة دخل فيها السجن إلا سبقها فتوى صحيحة لم تعجب المبلطين : فمرة أفتى بأن صفات الله سبحانه الواردة فى الكتاب والسنة مثل الاستواء والمجىء والنزول وغير ذلك تفهم على الحقيقة لا على المجاز طبقاً لمنهج السلف الصالح وهو إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل ، وأفتى بأن التوسل والاستغاثة بالنبى — صلى الله عليه وسلم — لا يجوز بعد إنتقاله إلى الرفيق الأعلى فإن هذا لا ينبغى لغير الله وإلا وقعنا فى الشرك ، وأفتى بحرمة شد الرحال لغير المساجد الثلاثة الموجودة فى الحديث الصحيح ، وأن الذى أوقع الناس فى هذا المحظور هو بناء المساجد على القبور ، وهذا حرام .

وأفتى بأن لفظ الطلاق بالثلاثة فى مجلس واحد تحسب تطليقة واحدة رجعية وفرق بين صيغ التنجيز والتعليق والحلف بالطلاق . . . وكل هذه الفتاوى مؤسسة على كثير من الأدلة الصحيحة التى أجهد نفسه فى التنقيب عنها رحمة بالأمة .. ولكنه قدر أئمة السنة بين رؤوس الجهل والبدعة ، حتى يرفع الله أهل السنه درجات كفاء جهادهم وصبرهم .

إن ذكاء ابن تيمية وفراسته العجيبة يمكن أن تدرك فى كل مشكلة ندب نفسه إليها ، فحين رأى ابن تيمية الزحف المغولى على الشرق الإسلامى ، أدرك لأول وهلة أن سلاح انتصارهم لم يكن صادراً عن قوتهم الذاتية ، وإنما كان

بسبب الانغماس فى الترف والتفرقة وترك الاعتصام بحبل الله ، والانخراط فى حياة الجدل والسفسطة الذى نخر فى عظام الأمة وأوهى قواها ، وأدرك أن المسلمين ركنوا إلى الفخر بأمجاد الماضى ، وغفلوا عن إعداد القوة الحاضرة ؛ وتنبأ أن القوات المصرية والسورية إذا اتحدت لقادرة على سحق التتار(١) .

وكشف التاريخ عن صدق ما تنبأ به ابن تيمية ، وبالإضافة إلى ما سبق كان إذا تحدث إلى جماعة لديه القدرة على حمل الآخرين بلباقته على اعتناق وجهة نظره ، وهذه اللباقة ضرورية للأشخاص الذين يُعْنَوْن بإصلاح الأمم والمجتمعات ، وليس من المبالغة فى شىء أن نقول إن الله اصطفاه بتلك الصفة من بين معاصريه ؛ فلقد أثَّرَ ابن تيمية فى كل من لقيه وما من فرد قابله إلا أحس أنه يقف أمام إنسان عظيم ؛ إنها الهيبة التى كانت تنقذه غالباً من إيذاء عوام الناس الذين كان أعداؤه يحرضونهم مراراً ضده ، وكم هدده أعداؤه بإلحاق الضرر البليغ به ؛ وما اتخذ لنفسه الحراسات المشددة ، وكذلك ماجرؤ أحد من المهددين على مهاجمته ، وكم أحس غيره من علماء الدين بالمرارة بسبب سبقه عليهم ، ولكن هيبته جعلتهم يحجمون عن مواجهته ، وكم قابل السلطان فى القاهرة وكان يخاطبه فى كل مرة بلغة مباشرة ومؤثرة ، وكذلك قابل امبراطور المغول قازان خان وخاطبه بأسلوب شديد اللهجة ، حتى أن أتباعه اعتقدوا أن الامبراطور سيطيح برأسه على الفور ، ولكن الامبراطور تغشته هيبة ابن تيمية وعامله بكل أدب واحترام(٢) .

إن اجتماع هذه الصفات المثالية فى شخصية واحدة أمر نادر فى التاريخ إلا أن ابن تيمية لم يبلغ حد الكمال المطلوب دون أى عيب إذ يمكنك أن تحس فى أقواله وكتاباته بشىء من الحدة والعصبية غير المرغوب فيها والتى تجعله يبدو أحيانا كأنه غير موضوعى ، إنه فى أى محاجة ضد العلماء كان الحق فى جانبه إلا أنه لم يتردد فى وصفهم بالجهل والحمق حينما يرفضون قبول

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ٢٨/١٤

(٢) أحمد بن حجر : الدر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ١٥٤/٤ .

وأنظر كذلك : صفى الدين الحنفى .

القول الجلى فى ترجمة الشيخ تقى الدين بن تيمية الحنبلى ص ١٦٢/١٦٣ .

وجهة نظره ، وفى الحقيقة إن تجريح الخصوم بهذه الطريقة تصرف لا يليق بمفكر عظيم ، ولكنه الطبع البشرى الذى لايسلم من خطأ .

ادعى خصوم ابن تيمية أنهم هم المتبعون للسنة وأنه ليس الا مبتدعا ، وأكد بدوره أنه هو المتبع للسنة وليس خصومه الا مفترين ، وكان من الطبيعى أن تقود هذه الحال الى احتكاك ولد عداوة بين الطرفين ؛ واعتقد ابن تيمية أنه على الحق ولهذا رد على جَنَفِ خصومه وإثمهم من شتى الفرق والملل والنحل بكلمات لاذعة حادة ، ولكن الصمت الجميل يكون أشد تأثيرا فى هذه الأحوال ، وينبغى الاشارة أن هذا الخلق كان عيبا فى ابن تيمية ، ولكن هذا لا يغض كثيراً من قدر هذا الرجل العظيم وفى الحقيقة أن رجلا أوتى مثل هذه الكفاءة المنقطعة النظير لا يستطيع أن يعيش فى سلام فى أى عصر من العصور ، ولم يكن ابن تيمية بدعا من أولئكم الرجال ؛ فقد كان معظم العلماء والفقهاء فى عصره مغتاظين منه وحانقين عليه وبسطوا اليه أيديهم وألسنتهم بالسوء ما استطاعو الى ذلك سبيلا .

فيما سبق حاولنا أن نعرف بشخصية ابن تيمية بوجه عام ؛ والآن سنناقش باختصار الظروف التاريخية التى كان لها أثر عميق على تفكيره وخاصة آراءه السياسية :

ولد ابن تيمية إبان حكم الدولة المملوكية والتى كانت تحكم رقعة واسعة تتكون الآن من مصر وسوريا ولبنان وفلسطين ؛ وهذه كانت القوة الكبرى الوحيدة فى العالم الاسلامى فى تلك الفترة ؛ وإذا وليت وجهك شطر الشرق من هذة الامبراطورية ستجد أن التتار قد غزوا أراضى المسلمين واحتلوها ، وفى عصر ابن تيمية اعتنق التتار الاسلام ولكن اسمياً فقط ، فكم خربوا وعاثو فى الأراضى الاسلامية فسادا ، ومع ذلك لم يوهن الغزو التترى من قوة المسلمين (١) .

أما كل المناطق الأخرى التى عاش فيها المسلمون فقد انقسمت الى ولايات صغيرة ما انفكت يحارب بعضها بعضا .

---

(١) ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ١٢١

وعلى ذلك فقد واجه الإسلام ثلاثة أخطار كبرى :

الصليبين ، التتار ، والانقسامات الداخلية (١) .

بعد موقعة اليرموك وابان حكم أبي بكر وعمر ، تمكن المسلمون من فتح الشام ومصر ، وسرعان ما أصبحوا الحكام السياسيين لغرب آسيا ، وجاءت الدولة الأموية ، ومن بعدها الدولة العباسية ؛ واتسعت رقعة الدولتين ، واشتدت قوتهما حتى أن سلطان الدولة البيزنطية انكمش ثم زال كلية من آسيا وإفريقيا ، ولكن عندما أصاب الوهن الاقاليم الاسلامية الكبرى بسبب انقسامها الى دويلات صغيرة ، وحينما تورط المسلمون فى المشكلات الداخلية ، والخلافات المهلكة فقدوا قوتهم ، وانتهز البيزنطيون الفرصة وبدأوا يعدون العدة للانتقام من الإسلام ، فقد اعتقدوا أن لهم حقا شرعيا على المناطق التى فقدوها فى آسيا وإفريقيا واشتولى عليها المسلمون ، وزعموا أن من حقهم أو من الواجب عليهم أن يحرروا هذه المناطق ، وبدأت سلسلة من الحروب تسمى الحروب الصليبية ، زعموا أن الهدف منها تحرير وحماية أرض فلسطين التى تحتوى على المشاهد المقدسة والآثار الأخرى لليهود والنصارى ، واستثاروا الحماسة الدينية والتعصب العقائدى لأوربا كلها حتى يهب الجميع للمشاركة فى هذا الواجب المقدس ، وزحف الصليبيون على سوريا وفلسطين فى حشود ضخمة ، وأقاموا المذابح البشرية البشعة للمسلمين . وأخذوهم أسرى ، وارتكبوا كثيراً من الجرائم المروعة فى المناطق التى احتلوها ، وأقاموا عددا من الولايات الصغيرة على ساحل البحر تحت حماية فرنسا والقوى الأوربية الأخرى(٢) .

وحينما بدأ الصليبيون زحفهم ، كان العالم الإسلامى — على الصعيد السياسى فى حال خطيرة من التفتت ، فقد كان الخليفة العباسى مجرد دمية فى أيدى السلاجقة الذين كانوا بدورهم منقسمين على أنفسهم إلى عدد من الولايات ما برحت يحارب بعضها بعضاً .

---

(١) ابن الأثير : تاريخ الكامل ١٢/١٤٧ .

(٢) Rene Crousset : Histoircs des Croisédes. Vol. I, pp. 4,5

أما الدولة الفاطمية فى مصر فقد جعلت من نفسها ظهيراً للصليبيين(١).

وإذا وليت وجهك شطر الشمال الغربى من أفريقيا وجدت المغرب يئن تحت طغيان دولة الموحدين التى عزلت نفسها تماماً عن الشرق الإسلامى وشغلت نفسها بنوع من التوحيد على طريقة المعتزلة يقول عنه ابن تيمية : « كان يتضمن نفى الصفات ؛ وقد سمى ابن تومرت أصحابه الموحدين ، وهذا إنما هو الحاد فى أسماء الله وصفاته وآياته » (٢) .

أما المسلمون فى أسبانيا فقد كانوا ينتظرون تصفية حسابهم النهائى فى غرب أوربا .

وكانت دولة الأتابكة فى الموصل هى التى واجهت الموجة الأولى من الصليبيين أما دولة المماليك فى مصر وسوريا فهى التى واجهت الموجات التالية ، وقدر للمآسى التى صحبت هذه الموجات أن تحدث فى عصر ابن تيمية .

إن الزحف الجارف لأوربا المسيحية المتحدة لغزو فلسطين وسوريا ومصر وغيرها من الأراضى الإسلامية ، والعجز الكلى للخليفة العباسى فى مواجهة التحدى ، والتفتت الكامل لدولة السلاجقة قبيل الغزو الصليبى وعجز العالم الإسلامى — فى أول الأمر — فى وقف هجمات الصليبيين ، ثم أحداث التدمير والسلب والنهب والقتل التى وقعت فى الأراضى التى إحتلها الصليبيون ؛ وخيانة للدولة الفاطمية ، ثم النهضة الملموسة لدولة الأتابكة والزنكيين والأيوبيين ، وإنقلاب الأمور لصالح الإسلام إن تلكم الأحداث جميعاً كان لها تأثيرها العميق فى تكوين الأراء السياسية لدى ابن تيمية (٣) .

ولد ابن تيمية بعد سقوط بغداد بخمسة أعوام ، وتم ذلك على أيدى التتار بقيادة هولاكو خان ، ولم يكن سقوط الخلافة العباسية أمراً عرضياً ، ولا مجرد نهاية عهد ولكنه يعد أهم الأحداث المشئومة فى تاريخ الإسلام . .

---

(١) Ibid, . Vol . 2, pp. 445, 533.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٣/٣٨٦

(٣) Qamaruddin khan : The Political though of Ibn Taymiyah p. 17.

لم يحدد الانهيار النهائى للقوة الإسلامية ؛ كما يؤكد السيادة الكاملة للمغول في الشرق ، وبسقوط بغداد غرق العالم الإسلامى فى لجج الظلام واليأس ، إنها كانت طامة كبرى ، وما أدراك تلك الطامة الكبرى ؟ ! وحصل التتار على إذن صريح من قائدهم أن يجوسوا خلال الديار بالحديد والنار (١) .

وهاجر الناس بأعداد كبيرة إلى سوريا ومصر هرباً من المجازر البشرية ، وبعد أن وطدَ المغول مركزهم فى بغداد تقدموا نحو سوريا يريدون بالطبع أن يضعوا الغرب الإسلامى تحت أقدامهم ؛ وحتى الهزيمة المنكرة التى حاقت بهم على أيدى المماليك فى عين جالوت سنه ٦٥٨ هـ لم تضع حداً لطغيانهم (٢) فقد استمروا فى ضغطهم بمزيد من التحفز ، واحتلوا تدريجياً معظم شرق سوريا ، وألمت حملة من حملات المغول بحران مسقط رأس ابن تيمية ، أجبرت والديه على مغادرتها إلى دمشق بأولادهم وأقاربهم ، وكان لديه من العمر حينئذ ستة أعوام .

ومن أبرز نتائج ذلك الغزو المغولى تمزق الروابط السياسية بين أجزاء العالم الإسلامى كلية ، وإنتشار موجة من الفوضى والاضطراب فى شتى أنحائه لعدة سنين وفى سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م إسترد الظاهر بيبرس الخلافة فى القاهرة لصالح المستنصر بالله ، وهو أحد أمراء الدولة العباسية الباقين ، والذى أصبح خليفة المسلمين ، وكانت الخلافة أسمية فقط ، ولكن السلطة الحقيقية كانت بأيدى سلاطين المماليك أنفسهم ، ولكن الخلافة من شأنها أن تقوى الجانب السياسى ؛ إذ أنها تعنى أن العالم الأهلامى لايزال قوة واحدة سياسياً وروحياً ، فالمفترض فى الخليفة أنه نائب عن النبى — عليه الصلاة والسلام — وعلاوة على ذلك فإن الخلافة منحت السلطان المملوكى سلطة حقيقية ؛ لأن السلطان بذلك حصل على حق شرعى يخول له أن يدعى السلطة على سائر الممالك والأقاليم الإسلامية ، وهذه الوحدة كانت ضرورية حتى يمكن الدفاع عن العالم الإسلامى ضد الغزو المغولى والغزو الصليبى كليهما ، واتخذ المماليك نظاماً وراثياً مطلقاً ، إلا أن ابن تيمية رأى

---

(١) Rene Crousset. Vol 2 443 - 445 .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ١٣/٢٢٠-٢٢١ .

فيهم الأمل الوحيد للخلاص ، ولذا فقد عدهم المدافعين البارزين عن الحق المسلوب؛ وهذا هو السر الذى يفسر لنا لماذا منحهم ابن تيمية المساندة القلبية الخالصة ، وتغاضى عن أخطائهم الجسيمة التى ارتكبوها (١) .

وقد أثر هذا هذا الموقف المحدد من الخلافة على تفكيره السياسى بعمق ، وجعله يحدث بعض التغيرات الواضحة فى تكوين المفاهيم عن الدولة والحكومة.

وقد أثرت الإنقسامات الداخلية على تفكيره السياسى بصورة لاتقل خطورة عن العوامل الخارجية التى ناقشناها آنفا ، فإن إمبراطورية السلاجقة الكبرى قد إنقسمت إلى أجزاء صغيرة سنة ١٠٩٢ عقب وفاة ملك شاه ، وبعد ذلك رأينا أن الدولة العباسية الواحدة قد انقسمت إلى عدد من الإمارات التركية والسلجوقية التى مابرحت يحارب بعضها بعضاً ،وقد أوهنت هذه الحروب العالم الإسلامى ، وشتتت جهده ، وهذه الحال كانت إحدى العوامل الأساسية التى شجعت الصليبيين الأوروبيين أن يهاجموا فلسطين ، وكذلك استمرت الحروب على هذا النحو حتى تمكن المغول من إسقاط الخلافة العباسية وتمزيقها إربا .

ولكن أكبر القوى السلبية فى القرنين الرابع والخامس الهجريين ، كانت فرقة الشيعة .

إن نهوض الفاطميين سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٩م فى شمال أفريقيا ثم قيام الخلافة الفاطمية فى الفسطاط سنة ٣٦١هـ/٩٧٢م ، ثم شل قوة الخلافة فى بغداد على أيدى البويهيين ، ثم ظهور الباطنية والقرامطة . . إن كل هـذه الأحداث لعوامل أساسية صدعت العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه ، ومن الحقائق التاريخية الهامة أن البويهيين فرضوا النظام الشيعى على الخلافة السنية فى بغداد، وقضوا على التركيب السياسى والاجتماعى للمجتمع ، وأصروا على منع الخليفة من مساعدة المسلمين فى سوريـا حينما حاول البيزنطيون أن يغزوا مناطقهم المفقودة فى الشرق فى القرن العاشر .

ويجب الإشارة إلى أن القرامطة تلك الطائفة الإسماعيلية المتطرفة ، قد أسست مذهبها على نظام الاباحية وكونت نفسها من خلال عصابات

---

(١) محمد أبو زهرة : ابن تيمية ص ١٤١ .

قوية لقطع الطرق، وعاثوا فساداً فى اليمن والعراق وسوريا وخراسان أثناء القرنين العاشر والحادى عشر، وسفكوا الدماء فى كل هذه المنطقة وأبعدوا الحجر الأسود من الكعبة سنة ٩٣٠ م (١) .

وإذا قرأت ـ ماكتب عن سفاكى الدماء ستجد أن المؤرخين المحدثين يقولون إن نظام هذه النحلة مؤسس على أصول إسماعيلية ، ثم اعتنقوا مذهب اللا أدريه الذى يهدف إلى تحرير المبتدىء من القيود النظرية ، ثم يثقفونه بأشياء خارجة عن هدى الأنبياء ،ويشجعونه على نبذ كل عقيدة وعلى الجرأة فى التحرر من الأديان ، وقد أدى سفاكوا الدماء والفاطميون فى مصر أجل خدمة للصليبيين ، وظلوا أشد الأخطار الداخلية وطأة على المسلمين (٢) .

وأخيراً قام الشيعى العلقمى الوزير الكبير للمستعصم بدعوة هولاكو لمهاجمة بغداد (٣) .

وبعد أن غزا المغول كل المناطق الشرقية التى تحت حوزة الخلافة ، دخل الشيعة فى خدمتهم بأعداد كبيرة ، وظاهروهم فى أعمال التخريب ، وكسب الشيعة السلطة بسرعة فى بلاط المغول خاصة بعد أن اعتنق هؤلاء مذهب الشيعة فى بضع سنين .

وهكذا نجد أن مفهوم السياسة الشرعية فى عصر ابن تيمية قد انحرف كثيراً عنه فى عصر النبوة وخلافة الراشدين بسبب ظهور القوى المعادية فى الداخل والخارج واتفاقها جميعا على حرب الإسلام ،الأمر الذى دعاه إلى وضع الكتب والرسائل لعلاج هذه الأوضاع المنحرفة مثل : منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية ،وكتاب السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى الرعية.

رابعاً : ابن تيمية يودع الحياة .

والآن ، تطوى صفحة إنسانية ناصعة ،حافلة بالجهاد والإخلاص لله عز وجل

---

(١) أنظر مسكويه : تجارب الأمم ١/٢٠١ .
ابن الأثير ٨/٥١٣ ، ٥١٤ .
(٢) أنظر ابن الأثير : تاريخ الكامل ١٠/٩٤ .
(٣) ميرخواند : طهران ٥/٢٣٧ ، ٢٣٨ .

وترجع النفس المطمئنة إلى ربِّها راضية مرضية ، أجل ! لقد جاء الأجل الذى لايستأخر عنه أحد ساعة ولايتقدم ، ورقد العالم المجاهد المجتهد رقدته الأخيرة ، وانتهت رحلة العذاب لتبدأ رحلة النعيم الأبدى فى ملكوت الله إن شاء الله ، لقد كانت شجاعته الأدبية على مستوى شجاعته البدنية وذلك هو السبب فى معظم العذاب الذى لقيه ، فما يكاد يصل إلى حقيقة حتى يعلنها مدوية أمام ألد أعدائه من العلماء والأمراء والسلطان ، إنه لم يتخلَّ عن مبدأ حتى فى الأوقات العصيبة التى استثيرت فيها الجماهير ضده ، وعندما عذب بسبب الآراء الجريئة التى قالها وسجن لم يندم على كلمة حق جهر بها ، ولم يتراجع رهبة أو رغبة وإنما تجرع البلاء إيمانا واحتسابا .

لقد استمر فى الكتابة حتى فى سجنه ولم يُرِدْ أن يضيع دقيقة واحدة من حياته عبثا ، وحينما جردوه كلية من وسائل الكتابة والدراسة ، ودع ذلك العالم القاسى إلى لقاء ربه الرحيم (١) .

وأسلم ابن تيمية روحه إلى بارئها فى سجن قلعة دمشق ليلة الأثنين فى العشرين من ذى القعدة سنة ٧٢٨ هـ/١٣٢٨ م ، وقد بلغ من العمر سبعة وستين عاما(٢) . ولما كان أهل دمشق يجلونه ويعظمون من قدره فقد احتفلوا بجنازته احتفالا رائعا وقد قدر من حضر دفنه فى مقابر الصوفية بمائتى ألف رجل وخمسة عشر ألف امرأة (٣) .

ولقد كتب الكثيرون المراثى الرائعة فيه ؛ ومما قاله ابن الوردى ،

تقيُّ الدين أحمدُ خيرُ حبرٍ ... خروقٌ المعضلاتِ به تخاطُّ
تُوُفِّىَ وَهْوَ محبوسٌ فريدٌ ... وليسَ لهُ إلى الدنيا انبساطُ
ولو حضروه حينَ قُضِى لألفَوْا ... ملائكةَ النعيمِ بهِ أحاطوا (٤)

ويقول ابن البرزانى : لقد اجتمع أهل دمشق لجناة الشيخ اجتماعا لو جمعهم سلطان قاهر وديوان حاصر لما بلغوا هذه الكثرة التى اجتمعوها فى جنازته وانتهوا

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ١٤/١٣٦
(٢) المرجع السابق ١٤/١٣٥ .
(٣) دائرة المعارف الإسلامية ١/١١٢ .
(٤) عبد السلام هاشم حافظ : الإمام ابن تيمية ص ١٦٣ .

إليها ، مع أن الرجل مات بالقلعة محبوسا من جهة السلطان ، وكثير من الفقهاء والصوفية يذكرون عنه للناس أمورا منفرة لأهل الأديان .

وقال العارفون بالنقل والتاريخ . لم يسمع جنازة بمثل هذا الجمع إلا جنازة الأمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، ولم يُرَ لجنازة أحد مارؤى لجنازته من الوقار والهيبة ، وتعظيم الناس لها ، وتفخيمهم أمر صاحبها وثنائهم عليه بما كان عليه من العلم والعمل والزهادة والعبادة والإعراض عن الدنيا والاشتغال بالآخرة (١) .

رحم الله شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية ، وأجزل له الثواب ونور له فى قبره ، لقاء نور النبوة الذى ملأبه طباق الأرض علما ، وأحيابه السنة ، ونصر به الحق .

---

(١) سراج الدين أبو حفص البزار :
الأعلام العلية فى مناقب شيخ الإسلام بن تيمية ٥٣ ، ٥٤ .